الفنون الشعبية

لكل شعب من الشعوب فنونه التي تعبر عن أحاسيسه ومشاعره.. من آلامه وآماله.. عن أفكاره وطموحه.. والفنون عادة تنقسم إلى قسمين:

١- فن أكاديمي مدرسي : وهو يخضع لنظام وتقاليد مدروسة، وهو الفن الذي تدرس أصوله في المعاهد والكليات الفنية.

٢- فن شعبي: وهو ما يطلق عل كل الفنون التي ينتجها الفنان الشعبي الذي توارثت فنه أو أسرار صناعته، وهو لا يخضع لنظام فنية حقيقية، ولكنه يخضع للتقاليد الفنية التي ورثها عن آبائه وأجداده، وربما يضيف إليها شيئًا من عنده، ولكنه لا يخرج عن بيئته. والفنون الشعبية تعبر بحق عن الأحاسيس الصادقة للشعب، لأنها صادرة عن إحساس فطري لا أثر للكلفة فيه ، فالفن الشعبي هو الذي ينتجه الفنان الشعبي بقصد تداوله بين أبناء الشعب.

بعض أنواع الفنون الشعبية:

١- التصوير الشعبي: ومن أمثلته الصور التي ترسم على جدران مباني الحجاج وفي بعض المقاهي الشعبية... الخ

٢- النحت : ومن أبرز أمثله عروس المولد والتماثيل الشعبية.

٣- الزخرفة الشعبية: ومن أمثلها الوشم الذي يزخرف به لفلاح يديه .. الخ.

٤- الصناعات الفنية الشعبية: كصناعات الكليم والحصير المزخرف والسلال والفخار والنسيج والسجاد والحلي الشعبي.. الخ

وسنعرض لهذه الأنواع ببعض الأمثلة حتى يتعرف الطالب عليها بقصد دراستها وتذوقها وتقديرها

١- التصوير الشعبي:

يستمتع الرائي في الريف أو في بعض الأحياء الشعبية بالرسوم الفطرية الجميلة التي يرسمها "الفنان الشعبي" على واجهة منزل حجاج الحي، فكثيرًا من الحجاج تحرص عائلاتهم على استقبالهم بالموسيقى والغناء.. كما تحرص أيضًا على تزيين واجهة المنزل بالرسوم والكتابة التي تعبر عن أن هذا المنزل (منزل حاج) زائر وحاج إلى بيت الله الحرام.

كما نجد أيضًا على جدران بعض المقاهي الشعبية وبين أيدي الباعة المتجولين رسوما تمثل "أبو زيد الهلالي" وغيره من الأبطال الذين عاشوا في مخيلة أبناء الشعب ونالوا إعجابهم بموافقهم البطولية.

والمتجول في القرى الريفية يلاحظ أيضًا أن بعض البيوت تزين واجهة منازلها برسم مستمد عناصرها من البيئة كالنخلة ورجال المزمار

وما إلى ذلك .. والمتأمل للرسوم السابقة – سواء أكانت في غزوات "أبوزيد الهلالي" أو في رسوم الحجاج – أو في رسوم النخيل وغير ذلك من صور تعبر عن البيئة سيجد فيها انطلاقا وحرية – كما سيجد أيضا تعبيرا صادقا عن أحاسيس الفنان الشعبي التي هي في الواقع ترجمة صادقة لمشاعر الناس وأفكارهم وآرائهم في هذ القطاع العشبي:

فالفنان الشعبي الذي هو أحد أفراد الشعب الذين يسمعون – الذين كانوا يسمعون –" الراوي" يقص عليهم قصص أبوزيد الهلالي ومواقفه البطولية ، فينفعل الناس ويهللون ويكبرون للراوي استحسانا وإعجابا وتقديرا لبطولة صاحب الأسطورة. وعندما يسمع الفنان الشعبي هذا ، فإنه ينفعل به ويترجم انفعاله وأحاسيسه إلى رسوم وصور تمثل شجاعة وأقدام صاحب الأسطورة وأعماله الأسطورية البطولية التي لا يقوم بها إلا بطل مغوار، مثل أبو زيد الهلالي لهذا، فإننا لابد أن نتصور الفنان عندما يرسم (أبوزيد) وهو راكب حصانه وشاهر سيفه ويقفز هنا وهناك وكأنه الوحيد في ساحة القتال، فإننا نتصور أنه يعبر عن أحاسيسه وانفعالاته بصدق، فالمبالغة في تصوير الأشخاص أو حذف بعض الأشكال التي لا تهم الفنان ، إنها تعبير فطري وترجمة صادقة لما في مخيلة الناس من صور للبطل الأسطوري ، ولهذا يقبل الأهالي على هذا الفن ويتذوقوه لأنه تعبير حقيقي عن أحاسيسهم المشتركة بينهم وبين الفنان المصور والفنان الراوي والتصوير الجديد – بصفة عامة– تعبير عن إحساس الفنان وتلخيص لأفكاره ومعتقداته

دون التقيد برسم قواعد المنظور أو غيره من الأصول الفنية المدرسية، ولهذا يمكننا أن نقول هذا النوع من التصوير له أصالته ومكانته الفنية لانطلاقه وتحرره من القيود الفنية الأكاديمية ولتعبيره بصدق عن انفعالات للشعب.

٢- النحت في الفنون الشعبية:

أبرز مثال للنحت الشعبي " عروس المولد" المصنوعة من الحلوى والمرتدية ثيابا من الورق الملون المزركش بالترتر المتلألىء، والخيول الملونة وغيرها من لعب الأطفال ، كذلك التماثيل الشعبية المصنوعة من الجص، وهذه العرائس والخيول تلعب دورا هاما في المولد والحفلات الدينية التي تهتم بها الطبقات الشعبية أيما اهتمام، وهي جزء من عقائد الطبقات الشعبية وتقاليدهم السائدة بينهم، والأطفال يهتمون باقتناء هذه العرائس، كذلك الحصان الصغير الذي يمتطيه الفارس، والفنان الشعبي كما يصور الأساطير والمعتقدات فإنه ينحت نفس الأساطير في تماثيل من الجص تمثل أبو زيد الهلالي.. إلخ كما تمثل عقائده الدينية تلك العرائس التي تعتبر مظهرًا هاما من مظاهر الاحتفال بالمراسم الدينية (كمولد النبي أو مولد الحسين ..الخ) ولا شك أن هذه الفنون تلعب دورا في كسب العيش لفئة من الصناع الذين تخصصوا في عمل هذه الأشكال.

٣- الزخرفة في الفن الشعبي:

استخدمت الزخرفة للتجميل والتزيين عند أهالي الريف ، ومن هذه الأمثلة "الوشم" كما أننا نشاهد كثيرًا من الرجال يرسمون على أيديهم أشكالا زخرفية للتعبير عن عقيدة معينة.. كما أن الفنان الشعبي استخدم الزخرفة في جميع الصناعات الشعبية التي يتم يتداولها في حياته اليومية كأواني الفخار والكليم بأعمال السعف.. الخ وهذه الزخرفة ترمز لأسطورة من الأساطير أو تعبر عن شكل من أشكال البيئة.

وكان الفلاحون يستخدمون "الصندوق" بدل الدولاب في جهاز العرس ، لذا افتنن الفنان الشعبي بزخرفة هذا الصندوق بالألوان البدائية المتباينة كالأحمر والأصفر والأزرق.. ألخ

ومن أهم مميزات الزخرفة في الفنون الشعبية أنها هندسية رمزية ، أي ترمز لقصص وأساطير أو لمعتقدات أو لأحداث تاريخية تأثر بها الفنان الشعبي فعبر عنها بشكل رمزي، ومن أمثلة ذلك الزخرفة الموجودة في أطباق الخوص في أسوان والكليم الأسيوطي ، وكلها تتميز بالأشكال الهندسية.

٤-الصناعات الفنية الشعبية:

وهي أكثر الفنون الشعبية انتشارًا وأهمية، حيث تلعب دورا هاما

في حياة الفلاح من الناحية الاقتصادية فيستغل الخامات الأولية التي تتميز بها بيئته في صناعات شعبية، ولهذا فالصناعات الشعبية تمثل جزءا له أهميته في الدخل الاقتصادي للفلاح. والصناعات الشعبية تحتاج إلى مهارة وخبرة يكتسبها الصانع بالوراثة . والصناعات الشعبية في مصر منتشرة انتشارا كبيرا ، ولها مراكز إنتاج طبقا للبيئة التي تخصصت في تلك الصناعات ، وطبقا للمواد الخام المنتشرة في بيئة عن غيرها، ومن أمثلة ذلك الكليم الأسيوطي الذي اكتسب شهرة عظيمة منذ زمن بعيد بزخارف الهندسية الرمزية وألوانه المتميزة، إلا أنه الآن فقد كثيرًا من شهرته نتيجة للمحاولات العديدة في تحويل زخارفه من أصولها المتوارثة إلى زخارف حديثة.

كذلك أعمال الخوص المشهور بها أسوان لانتشار ، ومن الأعمال التي تنطبق بالحسابية في التكوين الهندسي واللون والممتاز وأبرز مثال لذلك الأطباق الملونة بألوان متباينة كالأحمر والأصفر، والبرتقالي.. الخ، كذلك أعمال الخوص المشهورة بها رشيد، وأهالي رشيد يمتازون بأعماله دقيقة من الخوص كصناعة القبعات والشنط اللونة وغيرها.

ومن الصناعات الشعبية المنتشرة أيضا صناعة حلي السيدات الريفيات كالأقراط والأساور والعقود ذات الطبقات المتتالية والمصنوعة من المعدن أو الفضة، ففي هذه الصناعات دقة متناهية ،كما أن في

بعضها تعبيرًا عن معتقدات وأفكار المرأة الريفية، كالكف والخميسة. وهناك الأقراط والأساور المصنوعة من الخرز الملون ألوانا متناسقة قوية لها جذورها العميقة في تراثنا الفني.

وصناعة الفخار من أقدم الصناعات الشعبية انتشارا، وقد استغل الصانع الفنان طين بلاده في صنع القلل والأواني الفخارية ذات الأشكال.. الخ.

وفي القاهرة تعبر "مصر القديمة" من مراكز إنتاج الفخار المشهورة، وفي الصحراء الغربية : ابتداء من السلوم .. توجد صناعات فنية شعبية لها جذورها الأصلية من أميزها صناعة الكليم ، وهناك يختلف عن الكليم الأسيوطي مازال محتفظا بألوانه الفطرية المتيزة بالأحمر والأصفر والبرتقالي .. كذلك يوجد نوع آخر مزخرف بالأبيض والأسود فقط ، وزخارفه هندسية رمزية بها أشكال بيئة كالغزال والجمال... إلخ ، وقد استخدم هذا الكليم أولا كغطاء عند النوم ثم تطور حتى أصبح بشكله الحالي.

أهم مميزات الرئيسية للفنون الشعبية:

(أ) أنها فنون أصلية متوارثة لها تقاليدها الموروثة والتي تمتد إلى جذور عميقة في التاريخ.

(ب) زخارفها هندسية وألوانها متباينة فطرية، ومن أميز ألوانها

الأحمر والأصفر والبرتقالي والأسود.

(ج) تتميز الفنون الشعبية بانطلاق التعبير والبعد عن المقاييس المقننة في الفن الأكاديمي.

(د) هذه الفنون تحكي بالرسوم والأساطير والقصص والمعتقدات الدينية، لأهل الريف خاصة وللفئات الشعبية عامة.

(هـ) جميع أنواع الفنية الشعبية متقاربة ، سواء أكانت في ألوانها الصريحة أو في زخارفها لأنها فنون دائمة – فالزخارف الموجودة على السلال مثل تنقل منها إلى زخارف على الكليم... وهكذا تنتقل من صناعة إلى أخرى أو تختفي من صناعة في وقت ما لتظهر في صناعة أخرى – كما أن تشابهها راجع إلى الذوق الريفي في أي جهة متقارب.